

في تموز من العام ٢٠٠٥ أصدرت غالبية عظمى من المجتمع الفلسطيني من أحزاب ونقابات وهيئات واتحادات وحملات شعبية نداء تاريخيا للمجتمع الدولي لمقاطعة اسرائيل دولة الاحتلال سياسيا واقتصاديا وثقافيا وفرض العقوبات عليها. وتأسست اثر ذلك اللجنة الوطنية الفلسطينية لمقاطعة اسرائيل لتقود حركة المقاطعة العالمية BDS التي حققت انجازات هائلة في تحقيق أهدافها. وقد رأينا في هيئة التحرير أن تكون افتتاحيتنا مكرسه لهذه الحركة. ونستضيف في هذه المساحة الناشط في مجال حقوق الإنسان والعضو المؤسس في حركة المقاطعة السيد عمر البرغوثي.

## اللحظة الجنوب أفريقية في النضال الفلسطيني

عمر البرغوثي\*

امتداداً لتاريخ الشعب الفلسطيني الحافل بالمقاومة الشعبية، ومن ضمنها تجارب المقاطعة، سيما في الانتفاضة الأولى، وتأثراً بتجارب النضال في جنوب أفريقيا وحركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة ضد الاضطهاد، أصدرت في ٢٠٠٥/٧/٩ الغالبية الساحقة في المجتمع الفلسطيني، من أحزاب ونقابات وهيئات واتحادات وحملات شعبية، نداءً تاريخياً لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS). يدعو النداء إلى عزل دولة الاحتلال والاستعمار الاستيطاني والفصل العنصري (الأبارتهايد) في شتى المجالات، الأكاديمية والثقافية والاقتصادية والعسكرية، حتى تنصاع للقانون الدولي وتلبي ثلاثة شروط تشكل الحد الأدنى المطلوب لكي يمارس الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات حقه غير القابل للتصرف في تقرير المصير بحسب القانون الدولي: (١) إنهاء احتلال جميع الأراضي العربية التي احتلت في ١٩٦٧، بما في ذلك إزالة المستعمرات والحدود؛ (٢) إنهاء نظام الفصل العنصري (الأبارتهايد) القائم في أراضي عام ١٩٤٨ ضد الجزء من شعبنا الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية؛

\* ناشط حقوق إنسان وعضو مؤسس في حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS).

٣) وعودة اللاجئين إلى ديارهم الأصلية التي شردوا منها، وهو حق طبيعي كفله القانون الدولي. تتوافق هذه الحقوق الأساسية الثلاثة مع الأجزاء الأساسية الثلاثة المكونة للشعب الفلسطيني (والتي تشكلت بسبب مراحل الاستعمار الصهيوني لفلسطين): فلسطينيو الشتات، ويشكلون، حسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ٥٠٪ من الفلسطينيين في العالم؛ الفلسطينيون في الأرض المحتلة عام ١٩٦٧، ويشكلون ٣٨٪ من الشعب الفلسطيني، وفلسطينيو ٤٨ (حاملو الجنسية الإسرائيلية) ونسبتهم ١٢٪ من الشعب الفلسطيني.

إن اللجنة الوطنية الفلسطينية لمقاطعة إسرائيل، وهي أوسع تحالف في المجتمع الفلسطيني، تقود حركة المقاطعة العالمية (BDS)، حيث تضع معاييرها وتنسق مع الشركاء والحلفاء حول العالم في حملات مقاطعة أو سحب استثمارات عينية. كما ان هناك عدداً من المؤسسات الحقوقية الفلسطينية التي تعمل في نفس الاتجاه بشكل مستقل، مما يرفد عمل حركة المقاطعة.

### الهلع الإسرائيلي من "التهديد الوجودي" لحركة BDS

بعد المجزرة الإسرائيلية الأخيرة في صيف ٢٠١٤ ضد شعبنا في قطاع غزة المحتل، والمحاصر، وتفاقم بناء المستعمرات، والتطهير العرقي المتسارع لشعبنا في القدس والأغوار والنقب وغيرها، وانتخاب حكومة أقصى اليمين الإسرائيلي، الذي أسقط كل أقنعة "الديمقراطية" الزائفة، بدأت حركة المقاطعة العالمية، ذات القيادة الفلسطينية، تشهد تطوراً نوعياً جديداً في انتشار حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) كأهم رد فعل عالمي على الجرائم والعنصرية الإسرائيلية المنفلتة من عقابها.

في ذروة قوتها الاقتصادية والعسكرية، بالذات النووية، ورغم فرض هيمنتها على دوائر صنع القرار الأمريكي فيما يتعلق بالمنطقة العربية وجوارها ككل، ورغم الضعف الرسمي العربي والفلسطيني وتكبير القيادة الفلسطينية باتفاقية أوسلو، فإن إسرائيل تشعر اليوم بالتهديد "الاستراتيجي"، بل "الوجودي"، من حركة المقاطعة BDS كركيزة رئيسية من ركائز النضال الشعبي والمدني كأهم شكل تضامن عالمي مع نضال شعبنا من أجل حقوقنا غير القابلة للتصرف.

إن حالة الهلع السائدة في أوساط أصحاب القرار والمؤسسة الأمنية والسياسية في النظام الإسرائيلي في مواجهة حركة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها (BDS) تعكس إدراك إسرائيل مؤخراً أنها فشلت في محاولاتها الحثيثة لوقف وتيرة النمو السريع لهذه الحركة، رغم كل المليارات التي أنفقتها على الدعاية والبروباغندا ورغم استمرار تمتع إسرائيل بنفوذ هائل في أروقة القرار في واشنطن وبروكسل.

فقد صرح الرئيس الإسرائيلي، رؤوفين ريفلين، مؤخراً أن المقاطعة الأكاديمية لإسرائيل تشكل "تهديداً استراتيجياً من الطراز الأول" على النظام الصهيوني برمته.

وفي أول تغريدة له عند استلام وظيفته كوزير للشؤون الاستراتيجية في حكومة نتنياهو، صرح جلعاد إردان أنه سيركز على خطر إيران وخطر BDS.

وحذر رئيس الوزراء الأسبق إيهود باراك قائلاً: "إن هذه المجموعات يمكن تجاهلها من حيث الكم، لكن من ناحية الجوهر، فإنه من بين هذه المجموعات ستخرج القيادات المستقبلية للولايات المتحدة والعالم. إنه اتجاه تدريجي، لكنه ينزلق نحو نقطة التحول، وعند تلك النقطة ينتظرنا منحى، أو -- لا سمح الله -- هاوية سحيقة!"

أما الرئيس الأسبق للموساد شابتاى شافيت فقد عبّر عن خشيته، لأول مرة في حياته، على مستقبل "المشروع الصهيوني" ككل، بفعل تدهور العلاقة الأمريكية-الإسرائيلية، برأيه، وتنامي حركة المقاطعة العالمية BDS، وذلك في مقال نشره في صحيفة هآرتس، قال فيه: "تمكن الفلسطينيون من تحقيق إنجازات مهمة على المستوى العالمي. إن الجامعات في الغرب، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، هي حاضنات للقادة المستقبليين لتلك الدول. إننا نخسر الدعم لإسرائيل في العالم الأكاديمي. وتزايد أعداد الطلبة اليهود الذين يتعدون عن إسرائيل. وامت الحركة العالمية لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها BDS ، ... وانضم إليها عدد غير قليل من اليهود".

## تنامي تأثير حركة BDS

من مؤشرات هذا التأثير المتصاعد لحركة المقاطعة BDS استطلاع الرأي العام العالمي السنوي (GlobeScan) الذي تجريه BBC والذي أظهر في السنوات القليلة الماضية أن إسرائيل باتت تنافس على موقع ثالث أو رابع أسوأ دول العالم سمعةً! هذا ينعكس بلا أدنى شك، تدريجياً، على التجارة الإسرائيلية مع العالم.

كما قدّرت دراسة لمؤسسة "راند" الأمريكية للأبحاث خسائر الاقتصاد الإسرائيلي المتوقعة جرّاء استمرار حركة المقاطعة BDS بما يقارب ٤,٧ مليار دولار سنوياً في السنوات العشر القادمة، وهذا تقدير محافظ لا يأخذ بعين الاعتبار الخسائر غير المباشرة للاقتصاد الإسرائيلي.

لقد نجحت حركة المقاطعة BDS في إقناع العديد من الفنانين/ات والأكاديميين/ات والناشطين/ات

في شتى المجالات بمقاطعة إسرائيل، أو على الأقل بعدم خرق معايير المقاطعة التي دعا إليها الشعب الفلسطيني بغالبيتته الساحقة منذ ٢٠٠٥. وتحقق حركة المقاطعة BDS انتشاراً في الوطن العربي كذلك. فبعد المجزرة الإسرائيلية الأخيرة في غزة، صيف ٢٠١٤، انطلقت BDS الأردن، ومنذ أسابيع انطلقت BDS مصر، وفي يوم الأرض انطلقت حملة "المخيمات تقاطع" في لبنان. وكانت BDS المغرب قد انطلقت قبل أعوام، وكذلك BDS الكويت، كما توجد حركة مقاطعة شعبية مهمة في لبنان وغيرها.

في الأشهر القليلة الماضية فقط، شهدنا إنجازات نوعية تعكس وصول حركة المقاطعة BDS إلى التيار العام في الغرب. فقد تبنى الاتحاد الوطني للطلبة في بريطانيا (يمثل ملايين الطلبة) للمقاطعة، وألغت المغنية الأمريكية الشهيرة لورين هيل عرضاً فنياً في تل أبيب، ووقع أكثر من ألف فنان/ة وكتاب/ة في بريطانيا على تعهد بمقاطعة إسرائيل ثقافياً.

وفي العامين الأخيرين بدأنا نرى تأثيراً اقتصادياً متصاعداً للحركة، فقد خسرت شركة "فيوليا"، مثلاً، المتورطة في مشروع قطار يهدف إلى خدمة المستعمرات في القدس المحتلة، مليارات الدولارات في عطاءات في أوروبا والولايات المتحدة والكويت بسبب هذا التواطؤ. وكذلك خسرت شركة G&S الأمنية، المتورطة في سجون الاحتلال وحواجزه العسكرية ومستعمراته، عدة عطاءات وعقود في أنحاء العالم، مما حدا برئيس الشركة بالتعهد بعدم تجديد عقد الشركة مع مصلحة السجون الإسرائيلية عندما ينتهي في ٢٠١٧ (حيث يتعرض الأسرى الفلسطينيون، بمن فيهم النساء والأطفال، للتعذيب).

كما شهدنا بعض الشركات الأوروبية الضخمة في بريطانيا وفرنسا واسكندنافيا تقاطع معارض إسرائيلية للسلاح، وانسحبت شركات ألمانية وهولندية وبلجيكية وغيرها من مشاريع إسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ تطبيقاً لقوانين هذه البلدان وتحت الضغط الشعبي لحركة المقاطعة.

وكانت بعض أكبر صناديق الاستثمار الأوروبية والأمريكية (كصندوق تقاعد الكنيسة المشيخية، مثلاً) قد سحبت استثماراتها من شركات متواطئة في الاحتلال وانتهاكات إسرائيل للقانون الدولي. كما سحبت منذ أيام أكبر شركة تأمين في النرويج استثماراتها من شركتي "هايدلبرغ" الألمانية و"سيمكس" المكسيكية لتورطهما في نهب إسرائيل للموارد الطبيعية الفلسطينية في الأرض المحتلة عام ١٩٦٧.

وكانت عدة جمعيات أكاديمية في الولايات المتحدة قد تبنت المقاطعة الأكاديمية الشاملة لإسرائيل، بينما تبنت عشرات مجالس الطلبة في الغرب مشاريع تدعو لسحب استثمارات الجامعات من الشركات المتورطة في الاحتلال الإسرائيلي.

## الحساسية للسياق

رغم سعيها لفرض مقاطعة شاملة على إسرائيل، فإن المقاطعة تتبنى مبدأ "الحساسية للسياق"، أي احترام حقيقة أن نشاط المقاطعة في كل موقع هم الأكثر قدرة على تحديد الشركات أو المؤسسات التي يستهدفونها بحملاتهم وكيفية النضال للوصول إلى هذه الأهداف المحلية. إن أغلبية حلفائنا في الغرب، مثلاً، يستهدفون الشركات المتورطة في انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ فقط، ولكن بعضهم بدأ في تجاوز ذلك فتبنى المقاطعة الشاملة لإسرائيل ومؤسساتها المتواطئة.

تضم حركة المقاطعة BDS شركاء إسرائيليين من القوى المعادية للصهيونية والمتفقة على نداء المقاطعة بأكمله. ورغم قلة عددهم، إلا أن تأثيرهم كبير وهام في الحركة العالمية للمقاطعة. نعتز بدورهم كشركاء لنا في مقاومتنا المشتركة للنظام الإسرائيلي الاستعماري والعنصري وصولاً للحرية والعودة وتقرير المصير.

## التطبيع سلاح إسرائيل الأهم في مواجهة BDS

إن التطبيع مع إسرائيل، ككيان احتلالي، استعماري وعنصري، ومع مؤسساتها وممثليها، يعدُّ من عناصر الاستراتيجية الإسرائيلية والصهيونية الساعية لاستعمار عقولنا، بعد النجاح في استعمار أرضنا وثقافتنا. وقد تصاعدت موجة التطبيع بشكل هائل بعد التوقيع على اتفاقية "أوسلو" في ١٩٩٣. وفي السنوات الأخيرة، انتشر التطبيع الرسمي العربي مع النظام الإسرائيلي، إلا إنَّ الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الشقيقة بغالبيتها الساحقة لا تزال ترفض التطبيع.

رغم كل محاولات إسرائيل للنيل من حركة المقاطعة BDS أو ترهيبها أو تشويه سمعتها، فإن الحركة، التي تعبر عن ضمير شعبنا وتطلعاته للعيش بكرامة وبكافة حقوقه، تمضي بثقة نحو اللحظة الجنوب أفريقية في نضالنا من أجل الانعتاق من هذا النظام الاستعماري والعنصري.